الله ﷺ؛ إلَّا نعمة الرسول، التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام وتعليم الهدى ودين الحقِّ؛ فإنَّ لله ورسولهِ المنَّة على كلِّ أحدٍ، منةً لا يمكنُ لها جزاء ولا مقابلة؛ فإنَّها متناولةٌ لكلِّ من اتَّصف بهٰذا الوصف الفاضل، فلم يبقَ لأحدٍ عليه من الخلق نعمةٌ تُجْزى، فبقيت أعمالُه خالصةً لوجه الله تعالى، ولهٰذا قال: ﴿**إلَّا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأعلى. ولَسوفَ يرضى**﴾: هٰذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات.

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة والضحى

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾[1] مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

﴿١ ـ ٣﴾ أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه؛ بالضُّحى، وبالليل ﴿**إذا سجى**﴾ وادلهمَّت ظلمته؛ على اعتناء الله برسوله ﷺ، فقال: ﴿**ما ودَّعك ربُّك**﴾؛ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ ربَّاك ورعاك، بل لم يزل يربِّيك أكمل[2] تربيةٍ ويُعليك درجةً بعد درجةٍ، ﴿**وما**﴾: قلاكَ الله؛ أي: ما أبغضك منذ أحبَّك؛ فإنَّ نفي الضِّدِّ دليلٌ على ثبوت ضدِّه، والنفي المحض لا يكون مدحاً إلَّا إذا تضمَّن ثبوت كمال. فهٰذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمُّها، محبَّة الله له واستمرارها وترقيته في درجات[3] الكمال ودوام اعتناء اللَّه به.

﴿٤﴾ وأمَّا حاله المستقبلة؛ فقال: ﴿**وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولى**﴾؛ أي: كلُّ

---

(١) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٢) في (ب): «أحسن».

(٣) في (ب): «درج».

حالةٍ متأخِّرةٍ من أحوالك؛ فإنَّ لها الفضل على الحالة السابقة، فلم يزل ﷺ يصعد في درجات[١] المعالي، ويمكِّن اللَّه له[٢] دينه، وينصره على أعدائِه، ويسدِّده[٣] في أحواله، حتَّى مات وقد وصل إلى حال ما[٤] وصل إليها الأوَّلون والآخرون؛ من الفضائل والنِّعم وقرَّة العين وسرور القلب.

﴿٥﴾ ثمَّ بعد هٰذا لا تسأل عن حاله في الآخرةِ من تفاصيل الإكرام وأنواع الإنعام، ولهٰذا قال: ﴿**ولَسوف يعطيكَ ربُّك فترضى**﴾: وهٰذا أمرٌ لا يمكن التعبير عنه إلَّا بهٰذه العبارة الجامعة الشاملة.

﴿٦ ـ ٨﴾ ثم امتنَّ عليه بما يعلمه من أحواله الخاصَّة[٥]، فقال: ﴿**ألَمْ يجدْكَ يتيماً فآوى**﴾؛ أي: وجدك لا أمَّ لك ولا أبَ، بل قد مات أبوه وأمُّه وهو لا يدبِّر نفسه، فآواه الله، وكفَّله جدُّه عبد المطلب، ثم لمَّا مات جدُّه؛ كفَّله الله عمَّه أبا طالب، حتى أيَّده [اللَّه] بنصره وبالمؤمنين، ﴿**ووجدك ضالاً فهدى**﴾؛ أي: وجدك لا تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ، فعلَّمك ما لم تكن تعلمُ، ووفَّقك لأحسن الأعمال والأخلاق. ﴿**ووجدك عائلاً**﴾؛ أي: فقيراً، فأغناكَ الله بما فتح[٦] عليك من البلدان، التي جُبيت لك أموالها وخراجها، فالذي أزال عنك هٰذه النقائص سيزيل عنك كلَّ نقصٍ، والذي أوصلك إلى الغنى وآواك ونصرك وهداك، قابلْ نعمته بالشُّكران.

﴿٩ ـ ١١﴾ ولهٰذا قال: ﴿**فأمَّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ**﴾؛ أي: لا تُسِيءْ معاملة اليتيم، ولا يَضِقْ صدرُك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسَّر، واصنع به كما تحبُّ أن يُصْنَعَ بولدك من بعدك، ﴿**وأمَّا السائلَ فلا تنهر**﴾؛ أي: لا يصدر منك كلامٌ للسائل[٧] يقتضي ردَّه عن مطلوبه بنَهْرٍ وشراسةِ خلقٍ، بل أعطه ما تيسَّر عندك، أو ردَّه بمعروفٍ وإحسانٍ. ويدخل في هٰذا[٨] السائل للمال والسائل للعلم، ولهٰذا كان المعلِّم مأموراً بحسن الخلق مع المتعلِّم ومباشرته بالإكرام والتحنُّن عليه؛ فإنَّ في ذٰلك معونةً له على مقصده وإكراماً لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد،

---

(١) في (ب): «درج».
(٢) في (ب): «ويمكن له الله».
(٣) في (ب): «ويسدِّد له».
(٤) في (ب): «لا».
(٥) في (ب): «من الأحوال».
(٦) في (ب): «فأغنى بما فتح الله».
(٧) في (ب): «إلى السائل كلام».
(٨) في (ب): «وهذا يدخل فيه».

﴿وأمَّا بنعمة ربِّك فَحَدِّثْ﴾: وهٰذا يشمل النِّعم الدينيَّة والدنيويَّة[١]؛ أي: أثْنِ على الله بها، وخُصَّها[٢] بالذِّكر إن كان هناك مصلحةٌ، وإلَّا؛ فحدِّث بنعم الله على الإطلاق؛ فإنَّ التحدُّث بنعمة الله داعٍ لشكرها وموجبٌ لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها؛ فإنَّ القلوب مجبولةٌ على محبَّة المحسن.

❁ ❁ ❁

تفسير سورة ألم نشرح لك صدرك

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾[٣] وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾.

﴿١ ـ ٤﴾ يقول تعالى ممتنًّا على رسوله: ﴿ألم نشرحْ لك صدرَك﴾؛ أي: نوسِّعْه لشرائع الدِّين والدَّعوة إلى الله والاتِّصاف بمكارم الأخلاق والإقبال على الآخرة وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيِّقاً حرجاً لا يكاد ينقاد لخيرٍ ولا تكاد تجده منبسطاً، ﴿ووضعنا عنك وِزْرَك﴾؛ أي: ذنبك، ﴿الذي أنقَضَ﴾؛ أي: أثقل ﴿ظهرَكَ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿ليغفرَ لك اللهُ ما تقدَّم من ذنبِكَ وما تأخَّر﴾، ﴿ورفَعْنا لكَ ذِكْرَك﴾؛ أي: أعليْنا قدرَك، وجعلنا لك الثَّناء الحسن العالي، الذي لم يصلْ إليه أحدٌ من الخلق؛ فلا يُذْكَرُ الله؛ إلَّا ذُكِر معه رسوله ﷺ؛ كما في الدُّخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب[٤]... وغير ذٰلك من الأمور التي أعلى الله بها ذِكر رسوله محمدٍ ﷺ، وله في قلوب أمَّته من المحبَّة والإجلال والتَّعظيم ما ليس لأحدٍ غيره بعد الله تعالى؛ فجزاه الله عن أمَّته أفضل ما جزى نبيًّا عن أمَّته.

---

(١) في (ب): «﴿وأما بنعمة ربك﴾ الدينية والدنيوية ﴿فحدّث﴾».

(٢) في (ب): «وخصصها».

(٣) في (أ): إلى آخرها. وفي (ب): ذكر الآيات إلى آخر السورة.

(٤) في (ب): «والخطبة».